أوهام ما يُسمّى
بحادثة الإفك

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

.. قبل مجيء نور الإسلام وانتصار الحق على ظلمات الكفر والطغيان ، كانت الأصنام سائدة في المجتمعات ، وكانت تُعبد على أساس أنَّها قُربى لعابديها إلى الله تعالى ..

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾

[الزمر : ٣]

.. وهذه الأصنام كانت محسوسة من الحجارة وغير ذلك من موادِّ الأرض ، بمعنى أنّها كانت خارج نفوس عابديها ، ويذهب إليها عابدوها ليتقرّبوا بها (كما يتخيّلون) إلى الله تعالى زُلفى ..

.. لكنَّ الأصنام الآن أخطر بكثير من تلك الأصنام التي كانت في أيّام الجاهليّة ، لأنَّها موجودة داخل النفوس ، ولأنَّها تأتي هي بعابديها إلى مستنقع الجحود والفتن والشرك اعتقاداً بأنَّها من منهج الله تعالى ..

.. عابد الأصنام في السابق والذي يعتقد أنَّها واسطته إلى الله تعالى ، كان يعلم أنَّها منحوتة من الحجارة ، أو مصنوعة من التمر ، ولذلك لم يكن يقدّسها لماهيّتها ، فقد كان يأكل صنمه من التمر حينما يجوع .. بينما عابدو أصنام التاريخ الآن يعتقدون أنَّ أصنامهم التاريخيّة مقدَّسة لذاتها ، فأقوالهم وأفعالهم تؤكِّد ذلك ، واستعدادهم لقتل من يقترب من هذه الأصنام لذاتها ، في الوقت الذي يقرؤون فيه حرمة دم الإنسان في كتاب الله تعالى ، لأكبر دليلٍ على ذلك ..

أصنام الجاهليّة واضحة وجليّة بأنّها من الحجارة ، فمن الممكن لعابدها أن يفيق في لحظة تدبّر وتأمّل حقيقي مجرَّد ويحطِّم هذه الأصنام .. بينما الأصنام الحاليّة غير مرئيّة ، ويُلبَّس على عابدها بأنّها تنتمي للمقدَّس الذي أنزله الله تعالى ، وَصُنِعَت لها روايات نُسبت للنبيِّ ﷺ ، ووُضِعَت لها كُتبٌ كثيرةٌ في الموروث أُحيطت بهالة من القداسة ، وانبرى الكثير ممّن تَوَلّى كِبْرَه من عابدي أصنام التاريخ لتغييب عقول عابديها ، لمنعهم من أيِّ إمكانيّة لرؤية الحقيقة ... ولذلك فإنَّ إمكانيّة أن يفيق عابدها ويعود لرشده أقلُّ بكثير من إمكانيّة عودة عابد أصنام الجاهليّة لرشده ... من هنا كانت أخطر بكثير من أصنام الجاهليّة ..

.. والصنم الآن هنا هو إنسان له أقواله وأفعاله التي وصلت إلينا عبر روايات تاريخيّة ، لا يُوجد فيها (من المقدِّمات إلى النتائج) ثابتٌ واحدٌ يستند إلى كتاب الله تعالى .. وبما أنَّ هذه الأقوال والأفعال أصبحت حجّة على دلالات كتاب الله تعالى ، فإنَّها تمثِّلُ ما هو أسوأ حتّى من الأصنام ... فالأصنام يعتقد عابدها أنَّها تقرِّبه إلى الله تعالى زُلفى ، بينما الأصنام الآن أصبحت حجّة على منهج الله تعالى ذاته ..

.. الأصنام الآن أصبحت رجالات وروايات يعتقد عابدوها أنَّها قاضية على أحكام كتاب الله تعالى ، وأنَّ كتاب الله تعالى محتاجٌ لها ، وأنَّها ليست محتاجة لكتاب الله تعالى ، وبالتالي لا يجوز النظر إلى دلالات كتاب الله تعالى إلاَّ من منظارها ..

والنصُّ التالي من **كتاب الكفاية في علم الرواية** يؤكِّدُ ذلك ..

[[..... القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن ..... السنّة قاضية على الكتاب ، ليس الكتاب قاضياً على السنّة .]] ..

ونقول للمتاجرين بالسنّة الشريفة المفلسين فكريّاً : نحن لا نصف السنَّة الشريفة (الحق التي لا تختلف مع كتاب الله تعالى) بالأصنام كما ستفترون علينا نتيجة إفلاسكم الفكري وعدم قدرتكم على مواجهة الأدلّة والبراهين ، معاذ الله تعالى ، نحن نقول : لقد

حوَّلتم روايات تاريخيّة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان إلى سنّة ، في الوقت الذي يعلم فيه كلُّ عاقل أنّها متناقضة ومناقضة لكتاب الله تعالى .. والأهمُّ من ذلك أنَّكم رفعتموها فوق كتاب الله تعالى ، وجعلتموها قاضيةً على أحكام كتاب الله تعالى ..

.. فمن يسمع قولكم : [[القرآن أحوج إلى السنّة من السـنّة إلى القـرآن]] ويسمع قولَكم [[السنّة قاضية على الكتاب ، ليس الكتاب قاضياً على السـنّة]] ، وفي نفسه ولو ذرّة تقديرٍ وتقديسٍ لكتاب الله تعالى ، سيُدرك – أكثر من قبل – حقيقـة شكوى الرسول ﷺ في الآخرة ..

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]

.. ولذلك .. فدم الإنسان (مهما كان دينه ومذهبه وطائفته) الذي جعله الله تعالى حراماً لا يجوز الاقتراب منه ، أصبح هدره قُربى إلى هذه الأصنام ، كما نرى بأمِّ أعيننا من دماء تسيل في سبيل المذاهب والطوائف ، وفي سبيل الغرق في مستنقعات الفتن التي حاملها روايات تاريخيّة وُضعت خصّيصاً من أجل إغراق المسلمين في مستنقع هذه الفتن ..

.. كيف يكون قتل الإنسان المؤمن بالله تعالى (وغير المؤمن) والذي لا يريد عبادة هذه الأصنام التاريخيّة ، كيف يكون قتله في سبيل الله تعالى ؟!!! .. لا يكون ذلك إلاَّ إذا كانت هذه الأصنام (عند القتلة) فوق منهج الله تعالى ، وبالتالي فوق مراد الله تعالى ..

.. قد يبدو هذا الكلام غريباً بالنسبة للكثيرين .. ولكن .. من ينظر في واقع المسلمين الآن من مشارق الأرض إلى مغاربها ، ومن ينظر إلى نيران الفتنة التي تُنفَخ في نفوس المسلمين منذ فترة ، ومن يقرأ التاريخ من منابعه وبشكلٍ مجرَّدٍ عن ذرِّ الرماد في الأعين ، ومن يدرك دلالات كتاب الله تعالى بشكلٍ مجرّد عن ضغط الموروث .. من يفعل ذلك .. يُدرك صحّة ما نقول ..

.. والقضايا التي تثبت ذلك كثيرة ، في الماضي والحاضر ، في التاريخ والواقع .. وسأتعرّض بإذن الله تعالى في هذا المقال لمسألة هي في أصلها ملفّقة ، تاجر بها متطرّفو الشيعة أبشع متاجرة ، وتاجر بهذه المتاجرة متطرّفو السنّة للنفخ في نار الفتنة .. فهؤلاء وهؤلاء لا تعنيهم الحقيقة بشيء ، كلُّ ما يعنيهم هو الانتصار لأصنامهم التي باتت عندهم أهمّ من المنهج ، وحتى من منزِّله جلّ وعلا ..

إنَّها مسألة الإفك التي رُميت بها عائشة زوج النبي ﷺ وذلك حسب روايات تاريخيّة متناقضة ، عند السنّة والشيعة .. ولا أريد الوقوف عند هذه الروايات المتناقضة والمناقضة – كما سنرى – لكتاب الله تعالى .. فحرفٌ من كتاب الله تعالى أهمُّ من كلِّ الروايات (الصحيحة قبل الموضوعة) ، عند السنّة والشيعة على حدٍّ سواء ..

.. أزواج النبيِّ ﷺ يكفيهن من شهادة الله تعالى لهنّ أنَّ الله تعالى وصفهنّ بالزوجيّة للنبيِّ ﷺ ، وهذا الوصف لا يكون إلاَّ عند وجود تناظر في العقيدة ، فكونهنّ أزواجاً للنبيّ ﷺ كما يبيّن كتاب الله تعالى ينفي عنهنَّ كلَّ كلامٍ ساقطٍ يقوله أيُّ ساقط مهما كان ..

.. وفوق ذلك هنَّ أمهّات للمؤمنين ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب : ٦] ، فكيف إذاً من الممكن لمؤمن أن يرمي أمَّه بما لا يليق بها ، وكيف للنبيِّ ﷺ ألاَّ يقول فور سماعة بهذا الإفك بأنَّه إفكٌ مبين كما تقول الروايات ؟ !!! .. وكيف وكيف وكيف ؟!!! .. كلُّ ذلك يؤكِّد أنَّ المسألة ملفّقة من أساسها للإساءة لأزواج النبيِّ ﷺ ، وبالتالي للإساءة للنبيِّ ﷺ ، وبالتالي الإساءة للمنهج ككُل .. ومن جهة أُخرى وُضعت هذه الروايات لإرضاء الأهواء المذهبيّة والطائفيّة عند غلاة الشيعة ، وليسقط في مستنقعها مُطلِّقُو عقولهم من السنّة ، وبالتالي لتكون تربةً خصبة لإشعال الفتن ، ولتمزيق جسد الأمّة ..

.. وما أريد أن أُبيّنه في هذا المقال هو أنَّ النصَّ القرآني الخاصَّ بمسألة الإفك في سورة النور ، ليس خاصّاً بحادثة معيَّنة كما هو في موروثنا التفسيري .. وأنَّ صياغته اللغويّة لا تُسعف من يريد تخصيصَه بهذه الحادثة الخاصّة بعائشة زوج النبيِّ ﷺ ..

فمن جهة ، هذا النصُّ دلالاته – كما سنرى – واسعة وليست خاصّة بحادثة محدَّدة في الجيل الأوَّل .. ولا ذكر لأزواج النبيّ ﷺ لا في هذا النصِّ ولا في السياق السابق له ولا في السياق اللاحق له ..

ومن جهةٍ أُخرى ، فإنَّ أزواج النبيِّ ﷺ أشرف وأطهر من أن يكنَّ في ساحة الشك ، والنبيُّ ﷺ أطهر وأكبر من أن يكون كما تصفه الروايات المتناقضة أصلاً ، بأنَّه لم يكن كما يُفترض ، وكما يصفه الله تعالى بأنَّه على خُلقٍ عظيم ... فمن يقرأ هذه الروايات بكليّتها ودون انتقاء ودون خضوعٍ لذرِّ الرماد في الأعين من قِبَل عابدي أصنام التاريخ ، يتيقّن أنَّ هذه الروايات فيها ما فيها من الكذب والافتراء ، إن لم تكن ملفّقة بكليّتها ومن أساسها ..

.. وللأسف .. أصبحت هذه القضيّة ساحة صراع بين غلاة الشيعة الذين لا همَّ لهم إلاَّ الطعن بأزواج النبيِّ ﷺ وبالصحابة انتصاراً لأوهامهم فيما تمَّ تحويله من بعض أهل البيت إلى أصنام بكلِّ ما تحمل الكلمة من معنى ، وبين بعض الذين لا يعنيهم أبداً تدبّر النصِّ القرآني لرؤية دلالاته الحق ، ولا همَّ لهم إلاَّ المزيد من الغرق في مستنقعات الفعل الطائفي وردّ الفعل ، رافعين الصحابة (بكليّتهم) كردّة فعل إلى مستوى الأصنام أيضاً ..

وتبقى الحقيقة ضائعة بين هذين الطرفين .. وتبقى الروايات المتناقضة والمناقضة لكتاب الله تعالى (عند الطرفين) سيدة الموقف فيما يُضَخُّ ليل نهار فوق رؤوس العوام من شحن مذهبي وطائفي مقيت ، لا يُنتج إلاَّ مزيداً من الابتعاد عن تدبّر دلالات كتاب الله تعالى ، ومزيداً من الفتن التي تحرق الأخضر واليابس ..

وفي هذا المقال .. لا أريد الوقوف عند الروايات الخاصّة بهذه المسألة ، المتناقضة والمناقضة لكتاب الله تعالى ، فباستطاعة أيِّ إنسان العودة إلى ذلك والتيقّن ممّا نقول .. ما أريده هو الوقوف عند دلالات النصوص القرآنيّة الحاملة لمسألة الإفك ، لتبيان حقيقة ما تحمل من دلالات وأحكام ..

.. كتاب الله تعالى يُصَوِّرُ مسألة الإفك ابتداء من الآية (١١) في سورة النور .. وهذا النصَّ تسبقة آيات كريمة تُصَوِّرُ مسألة الزنا ومسألة رمي المحصنات ومسألة رمي الأزواج لزوجاتهم ..

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ

آمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا
إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ
﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن
نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن
كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ
أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [
النور : ١ – ٢٠]

.. لو نظرنا في هذا النصِّ الكريم في سورة النور ، لرأينا أنَّ الآيات الكريمة فيه تتدرَّج من تصوير أحكام مسألة الزنا ، بشكل مباشر ، عبر ذكر المسألة بشكل مباشر ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ ، ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ .. فهذه النصوص الكريمة تصوِّر مسألةً محدَّدة بعينها ، وهي مسألة الزنا المعروفة المحدّدة ..

بعد ذلك ينتقل النصُّ القرآني إلى مسألة أُخرى ليست مؤطَّرة بحيثيّة محدَّدة كما هو حال مسألة الزنا ، وذلك بصياغة جديدة ، حيث يبدأ تصوير المسألة بكلمة ﴿ وَالَّذِينَ ﴾

، ليصوِّر لنا رمي المحصنات وما يتعلَّق به من أحكام ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾ ، ورمي الأزواج لأزواجهم وما يتعلّق به من أحكام ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ ﴾ ..

.. ما نعنيه أنَّ رمي المحصنات ورمي الأزواج لزوجاتهم هو مسألة حيثيّاتها في الواقع أوسع من حيثيّات مسألة الزنا ، بمعنى أنَّ تجلّي هذه المسألة له وجوه أكثر من الوجه المحدَّد لمسألة الزنا .. فرمي المحصنات ورمي الأزواج لزوجاتهم يكون بعدة وجوه وبحالات مختلفة ، بينما مسألة الزنا معروفة ولا تثبت إلاَّ بحالة محدَّدة ..

من هنا نرى كيف أنَّ النصَّ يسير باتّجاه تبيان أحكام المسائل التي تتجلَّى بوجوهٍ تُعَدُّ حيثيّاتها وتجلّياتها في المجتمع أكثر اتّساعاً وأكثر عموميّة .. وهذا يتبيّن لنا من خلال ابتداء النصوص القرآنيّة الحاملة لهذه المسائل الأكثر اتّساعا بالعبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ ..

بعد ذلك ينتقل النصّ القرآني إلى مسألة أخرى تُعَدُّ أكثر عموميّة من المسألتين السابقتين ، وذلك بصياغة جديدة حيث يبدأ تصوير المسائل بالعبارة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ ، ليصوِّر لنا مسألة الإفك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ ﴾ ، ومسألة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ .. فمسألة الإتيان بالإفك وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا لها وجوهٌ كثيرة تتجلّى بها في المجتمع ، وهي أكبر اتّساعاً ، وهذا ما سنراه بإذن الله تعالى حينما نتناول تفسير هذه الآيات الكريمة ..

.. وبعد ذلك ينتقل النصّ القرآني إلى مسألة أُخرى تُعدُّ أكثر عموميّة من كلِّ المسائل السابقة ، وذلك بصياغة جديدة : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ، ليصوِّر لنا الأمر الإلهي

بعدم اتّباع خطوات الشيطان ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ ..

.. فالأمر الإلهي بعدم اتّباع خطوات الشيطان تتعلّق به وجوهٌ واسعةٌ جداً ، لدرجة أنَّ معظم أعمال الإنسان تتعلّق به .. ولذلك نرى كيف أنَّ النصَّ القرآنيَّ المصوِّر لهذه المسألة يبدأ بالعبارة القرآنيّة ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ..

.. وبعد ذلك يعود النصُّ القرآني في سورة النور إلى مسألة وجوهها في المجتمع أقل من هذه المسألة ، على الرغم من أنَّها واسعة ، ولكنَّها ليست باتّساع الوجوه التي تتعلّق بالأمر الإلهي بعدم اتّباع خطوات الشيطان ... ولذلك نرى النصَّ المصوِّرَ لها مسبوقاً بالعبارة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ..

.. وهكذا .. فالنصوص السابقة واللاحقة للنصِّ الحامل لمسألة الإفك تصوِّر مسائل متتابعة ، بإطارٍ عامٍّ دون أيِّ تخصيص بحادثة أو بجيل أو بشخص .. ونراها تصوِّر هذه المسألة بعد العبارة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ والتي تبيّنُ أنَّ المسألة المتعلّقة بها تتجلّى في المجتمع بوجوهٍ واسعةٍ لا يمكن حصرها بحيثيّة محدَّدة ، شأنها بذلك شأن مسألة الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وشأن مسألة الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ..... ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

.. ولنقف عند الآية الأولى من النصِّ الحامل لمسألة الإفك ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١١]

.. ما نراه في هذه الآية الكريمة :

١ – الصيغة عامّة وليست خاصّة بشخصٍ محدّد ولا بحدث محدَّد ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾ ... بمعنى لا تُوجَد أيُّ إشارة في النصِّ إلى أيِّ تخصيص لشخص أو جيل أو حادثة بعينها ..

٢ – ابتداء النصِّ القرآني الحامل لأحكام مسألة الإفك بالعبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ دليلٌ على أنَّ هذا النصَّ يُصوِّر مسألةً عامّة ليست مخصَّصةً بشخصٍ محدَّدٍ ولا بجيلٍ محدَّد .. ولو تتبّعنا النصوص القرآنيّة التي بدايتها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ في كتاب الله تعالى ، لرأيناها تصوِّر لنا أحكاماً عامّةً ، ليست مخصَّصةً بأشخاصٍ محدّدين ، ولا بجيلٍ محدَّد ..

وإن تخيّل بعضهم شيئاً من التخصيص في بعض النصوص كالنصّين التاليين :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٥]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [الأعراف : ٢٠٦]

فإنَّ مردّ توهّم هذا التخصيص في أذهانهم يتعلّق بعدم التفاتهم إلى قرينة موجودة في النص .. ففي النصِّ الأول نرى قرينة محمولة بالعبارة القرآنيّة ﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ وفي النصّ التالي نرى قرينة محمولة بالعبارة القرآنيّة ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ ..

.. إذاً .. ابتداء النصّ القرآني الحامل لأحكام مسألة الإفك بالعبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ دون وجود عبارة – في هذا النصّ – حاملة لأيّ قرينة تخصّص هذه الأحكام العامّة ، هو دليلٌ على أنَّ مسألة الإفك المحمولة بهذا النصّ ليست خاصّةً بجيلٍ محدّد ولا بأشخاص محدّدين ..

٣ – نرى كلمة ﴿ بِٱلْإِفْكِ ﴾ معرَّفة بأل التعريف ، وليست مضافةً لحدثٍ محدّد ولا لشخصٍ محدَّد .. فالإفك المعني هو مسألة واسعة تشمل مسألة الإفك بكينونتها المجرّدة عن التاريخ ، وليست محدَّدة بقضيّة محدّدة أو بجيل محدَّد أو بشخص محدَّد ..

٤ – نرى كلمة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ وليس كلمة (مَنْ) .. وفي هذا بيانٌ يزيدُ في إطلاق هذه المسألة بعموميّة أكثر اتّساعاً ، وأكثر ابتعاداً عن الخصوصيّات ..

٥ – نرى كلمة ﴿ جَآءُو ﴾ ، متبوعة بكلمة ﴿ بِٱلْإِفْكِ ﴾ المعرَّفة والمجرورة بباء الواسطة والوسيلة : ﴿ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾ .. بمعنى أنَّ جوهر فعلهم وقولهم الذي جاءوا به في المجتمع محمولٌ بواسطة الكذب والافتراء .. بمعنى أنَّ حامل أقوالهم وأفعالهم هو الكذب والافتراء .. وفي كلِّ ذلك إطلاقٌ لا يحمل أيَّ خصوصيّة لأيِّ جيلٍ ، أو حادثةٍ بعينها ، أو شخصٍ بعينه ..

٦ – وورود كلمة ﴿ جَآءُو ﴾ بصيغة الماضي وليس المضارع دليلٌ على إطلاق مسألة المجيء بالإفك ، كمسألة مجرّدة عن الأحداث .. فمسألة مجيئهم بالإفك هي مسألة تتعلَّق بما في نفوسهم ، بشكلٍ مجرَّد عن الزمان والمكان وما فيهما من أحداث .. بمعنى أنَّ هذه الصياغة بهذه الحيثيّة ترسم صورة المجيء بالإفك بإطارٍ عامٍّ ، وبشكلٍ مجرّد عن الحيثيّات الزمانيّة والمكانيّة لحوادث المجيء بهذا الإفك .. وفي كلِّ ذلك إطلاقٌ لهذه المسألة يؤكِّد عدم تخصيصها بحادثة محدَّدة في جيلٍ محدَّد ..

٧ – ورود كلمة ﴿ عُصۡبَةٌ ﴾ دون أيِّ صياغة أُخرى .. فهذه الكلمة ﴿ عُصۡبَةٌ ﴾ تُبيِّن مفهوم الجماعة والمجموعة التي يربطها رابط التعصّب فيما بين أفرادها لمسألة ما .. وهذا الرابط يتعلّق بنفوسهم ، قبل تعلّقه بأيِّ حادثة جزئيّة محدّدة ..

٨ – كلمة ﴿ مِّنكُمۡۚ ﴾ تؤكّد أنَّ المسألة عامّة في المسلمين المخاطبين بهذا النصِّ ، وأنَّ الخطاب موجَّهٌ للمجتمع المسلم في كلِّ زمانٍ ومكان بما فيه .. فالذين يجيئون بالإفك في كلِّ زمانٍ ومكان من المسلمين ﴿ مِّنكُمۡۚ ﴾ ، في نفوسهم تعصّب يجمعهم باتّجاه المجيء بهذا الإفك ﴿ عُصۡبَةٌ ﴾ .. ولا يمكن لعاقل أن يتخيّل أنَّ المجيء بالإفك خاصٌّ بجيل دون غيره وبحادثة دون غيرها .. ولا يمكن لمن يعرف حقيقة كتاب الله تعالى (كونه فوق الزمان والمكان) أن يتخيَّلَ النصَّ القرآنيَّ داخل إطارٍ محدَّدٍ من الزمان والمكان ..

٩ – العبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ ﴾ ترسم صورة النفوس المريضة في أيِّ مجتمع والتي تجيء بالإفك في كلِّ زمانٍ ومكان ، وتأتي العبارة التالية لها مباشرة ﴿ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ ﴾ لتبيّن انتماء هؤلاء في كلِّ زمانٍ ومكان لجسد المجتمع الإسلامي .. ففي كلِّ زمانٍ ومكان ، الذين جاءوا بالإفك هم جماعة من الجسد الإسلامي تتلاقى نفوسهم عند ذلك ..

فالعبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ ﴾ لا تنفكُّ عن الآيات السابقة لها ، والتي تحملُ أحكاماً عامَّةً في الزنا ورومي المحصنات ورمي الأزواج لزوجاتهم والأحكام العامّة المتعلّقة بذلك .. فهذه العبارة القرآنيّة تقول : هؤلاء الذين جاءوا بالإفك المتعلِّق في كلِّ هذه المسائل وغيرها ، هم مجموعة منكم ..

١٠ – العبارة القرآنيّة ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ ، يعود الضمير المتّصل الهاء في كلمة ﴿ تَحْسَبُوهُ ﴾ إلى المجيء بالإفك ، وليس إلى الإفك ، فلا شكَّ أنَّ الإفكَ شرٌّ وليس خيراً .. فمجيء هؤلاء بالإفك ، علينا ألا نحسبه شرّاً لنا ..

.. وكون الأمر متعلّقاً بالمجيء بالإفك ، وكون هذا المجيء مُجرَّداً عن الزمان والمكان كما بيّنا ، فإنَّ دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ مجرَّدةٌ عن الزمان والمكان ، وتخاطب المجتمع المسلم في كلِّ زمانٍ ومكان ..

١١ – وورود كلمة ﴿ لَّكُم ﴾ ليس عبثاً وليس حشواً ، فهذا المجيء بالإفك علينا ألاَّ نحسبه شرّاً لنا ، وهذا لا يعني أنّه ليس شرّاً بالنسبة للذين جاءوا به .. فبالتأكيد إنَّ مجيء هؤلاء بالإفك هو شرٌّ لهم .. ولكن كونه شرّاً لهم يجب ألاَّ يدفعنا أن نحسبه شرًّا لنا نحن كبعيدين عن المجيء به ..

١٢ – العبارة التالية ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ تأتي لتبيّن حقيقة هذا المجيء بعيداً عن حسباننا له .. فالعبارة ليست (بل احسبوه خيراً لكم) إنّما جاءت لتبيّن حقيقته من منظار علم الله تعالى ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ..

١٣ – ما بين ألاَّ نحسب هذا المجيء بالإفك شرّاً لنا ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ وبين حقيقته بأنَّه خيرٌ لنا ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .. بين هذين الحدّين مساحة تبيّن أنَّ الشرَّ الذي يأتي به هؤلاء لأنفسهم في الآخرة ، ولبعض الذين يفترون عليهم بالكذب والبهتان في الدنيا ، إنّما هو في النهاية خيرٌ للمجتمع كَكُل ، ممّا ينتجه من فرزٍ للكاذبين عن الصادقين .. فلولا هذا الفرز لما علمنا الكاذبين الأفّاكين في المجتمع ..

١٤ – قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾ ، يُبيِّن أنَّ هؤلاء الذين جاءوا بالإفك على درجات ، فكلُّ واحدٍ منهم يأخذ نصيبه من الإثم بمقدار ما

ساهم به من الإفك ، فحسب درجة افترائه وكذبه وتدليسه ومشاركته بالإفك يكتسب نصيبه من الإثم .. فهناك مَن افترى هذا الإفك ، وهناك مَن ساهم بنقله ، وهناك مَن أشاعه .. كلٌّ له ذنبه حسب درجة مساهمته بهذا الإفك ..

١٥ – قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يبيّن لنا رأس هؤلاء الذين شاركوا بهذا المجيء بالإفك بأعلى الدرجات ، فالذي تبع عظم هذا المجيء بالإفك وكابر وكان رأساً من هؤلاء الذين جاءوا بالإفك ، له عذابٌ عظيم .. ونرى كلمة ﴿ مِنْهُمْ ﴾ تبيّن أنَّ هذه العبارة القرآنيّة تختصّ بهؤلاء الذين جاءوا بهذا الإفك ..

.. والآية الثانية في هذا النصِّ الكريم الحامل لأحكام مسألة الإفك في سورة النور هي :

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور : ١٢]

.. في هذه الآية الكريمة يتوجّه الخطاب ليس إلى الذين جاءوا بهذا الإفك ، وإنّما إلى الذين سمعوه ، وهم عموم المجتمع الإسلامي السامع بهذا الإفك ، وهم ذاتهم الذين خاطبهم الله تعالى في الآية السابقة : [[﴿ مِّنكُمْ ﴾ ،، ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ ،، ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾]] .. ويتوجّه اللوم في هذه الآية الكريمة إلى المؤمنين والمؤمنات الذين كان من المفترض بهم أن يكون لهم موقفٌ جليٌّ في نبذ هذا الإفك .. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – كلمة ﴿ لَّوْلَآ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ هي بمعنى هلاَّ ، وهي للتحضيض ، أي كان من المفترض عليكم حينما سمعتموه ..

فهذه الكلمة ﴿ لَّوْلَآ ﴾ إمَّا أنَّها تفيد التحضيض كما هو حالها في الآية التي بين أيدينا ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ ، أو أنَّها تفيد امتناع الأمر لوجود غيره ، كما هو في آية أُخرى في هذا النصِّ قيد الدراسة : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٤] ، بمعنى امتناع مسِّهم بالعذاب العظيم لوجود فضل الله تعالى عليهم ورحمته في الدنيا والآخرة ..

٢ – هذان المعنيان لكلمة ﴿ لَّوْلَآ ﴾ يُحيط بهما إطارٌ واحدٌ من المعنى والدلالات .. فمعنى التحضيض الذي يتجلّى في بعض نصوص كتاب الله تعالى ، وهو بمعنى المفترض الذي كان لا بدّ له أن يكون والذي كونه ضرورة يقتضيها الحال .. بمعنّى هلا كان الأمر الذي يقتضيه الحال .. هذا المعنى يتقاطع مع المعنى الآخر لهذه الكلمة وهو امتناع الأمر لوجود غيره ..

فمعنى التحضيض يوصل في النتيجة إلى امتناع تحقيق هذا المفترض أن يكون ، لوجود مانعٍ في من يعنيهم هذا التحضيض .. ولننظر في النصوص القرآنيّة التالية التي يتجلّى فيها معنى التحضيض ، لنرى كيف أنَّ الأمر المعني بهذا التحضيض والذي كان من المفترض أن يكون ، لم يتحقَّ ، وامتنع تحقّقه لوجود مانعٍ في من يعنيهم هذا التحضيض ..

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ٦٣]

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٣]

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢]

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨]

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : ١١٦]

﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف : ١٥]

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [الكهف : ٣٩]

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ [النور : ١٢ – ١٣]

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦]

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل : ٤٦]

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١]

[

﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٣]

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٨]

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٠]

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٧]

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٢]

﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٠]

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون : ١٠]

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم : ٢٨]

.. وهذا أمر طبيعي ، فلو لم يمتنع ما هو مفترض أن يكون لما كان للتحضيض معنى ..

.. وهكذا فالأمر المتعلّق بهذه الكلمة ﴿ لَّوۡلَآ ﴾ التحضيضيّة هو كنتيجة لم يتحقّق ... وبالتالي فالمفترض والواجب عمله والمحمول بالعبارة ﴿ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ لم يتحقّق بشكلٍ عام ..

.. وفي هذا بيانٌ لحال المجتمع المسلم في إطاره العام في كلِّ زمانٍ ومكان ، بعيداً عن أيِّ خصوصيّة بجيلٍ محدَّد وحادثة محدَّدة ، كما يذهب تفسيرنا الموروث ..

٣ – العبارة القرآنيّة ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ نراها تخاطب جملة السامعين بشكلٍ عام .. وهذا يشمل كلَّ من سمع بهذا الإفك .. فالخطاب المباشر في هذا النصِّ موجَّهٌ للمجتمع المسلم السامع بهذا الإفك بشكلٍ عام ..

٤ – العبارة القرآنيّة ﴿ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ نراها تنقلنا إلى مجموعة المؤمنين والمؤمنات من جملة السامعين لهذا الإفك .. فالعبارة القرآنيّة لم تأت بالشكل (لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم هذا إفك مبين) لتشمل جملة السامعين ، إنّما نراها تتعلّق بجماعة المؤمنين فقط من جملة السامعين .. فإذا كان المؤمنون والمؤمنات لم يظنّوا بأنفسهم خيراً و لم يقولوا هذا إفكٌ مبين ، فكيف إذاً حال بقيّة السامعين ؟! .. من هنا نستشفُّ انغماس مجتمع السامعين بهذا الإفك وتفاعلهم معه بسلبيّة كبيرة ، كان من المفترض ألاّ تكون ..

٥ – عدم مخاطبة المؤمنين بشكلٍ مباشر ، وتصوير موقفهم السلبي بصيغة الغائب ، ومجيء العبارة القرآنيّة المصوِّرة لذلك ﴿ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ متوسطة ، قبل العبارة القرآنيّة ﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ ﴾ التي تتعلّق دلالاتها بالذين جاءوا بالإفك ، وبعد العبارة القرآنيّة المخاطبة لجملة السامعين بشكلٍ مباشر ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ له دلالته في كتاب الله تعالى ..

.. فضحايا الإفك هم من المؤمنين الصادقين المظلومين ، وإلاّ لما كان الإفك إفكاً .. فالإفك هو افتراء الكذب ، وبالتالي الذين تمّ رميهم بالإفك أبرياء وليسوا كما تمّ الكذب عليهم ، ولذلك كان من المفترض على جملة المؤمنين ألاّ يظنّوا بهؤلاء الضحايا إلاّ خيراً ، وكان عليهم أن يكون لهم موقف بأن يقولوا هذا إفكٌ مبين ..

من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود كلمة ﴿ بِأَنفُسِهِمْ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ .. فهؤلاء المظلومون هم من جملة المؤمنين ، وأيٌّ من المؤمنين كان من الممكن أن يكون ضحيّةً لإفك هؤلاء الذين جاءوا به ، وبالتالي هو وهؤلاء الضحايا مجموعة واحدة ، وهذا يقتضي أن يظنّ بهؤلاء الضحايا خيراً وأن يكون له موقفٌ واضح في ذلك ..

٦ – نرى في هذه الآية الكريمة عطفاً للمؤمنات على المؤمنين ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ ، ونحن نعلم أنّ كلمة ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ في كتاب الله تعالى وحدها تكفي لتشمل الإناث مع الذكور في مسألة الإيمان .. فما الفائدة من هذا التفصيل والفصل بين ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (كذكور) وَ ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾ (كإناث) ؟ ..

في هذا الفصل نستشفُّ تفصيلاً في الأمر ، فهناك خصوصيّة للرجال في التفاعل مع هذا الإفك ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، وهناك خصوصيّة للإناث في التفاعل مع هذا الإفك ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾ ..

.. وبالتالي فظنُّ الخير الذي كان من المفترض أن يكون في هذه الحالة ، هو في كلِّ زمانٍ ومكان لم يتحقّق في نفوس جملة المؤمنين كذكور ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ وجملة المؤمنات كإناث ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾ ، وذلك كأفرادٍ في كلِّ جيل ..

٧ – نرى أنّه هناك مسألتان كان من المفترض أن يقوم بهما المؤمنون والمؤمنات .. المسألة الأولى هي ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ ، والمسألة الثانية هي ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ .. والمسألة الأولى هي مقدِّمة للمسألة الثانية .. فالقول الصادق تسبقة إرادةٌ صادقةٌ وظنٌّ يؤدّي إليه ..

٨ – ممّا سبق نرى أنَّ حصر دلالات هذا النصِّ الكريم الحامل لمسألة الإفك بحادثة حصلت مع أمِّ المؤمنين عائشة زوج النبيِّ ﷺ كما هو شائع في تفاسيرنا ، يُسيء لجملة المؤمنين آنذاك ، هذا إضافة إلى أنَّه لا وجود لأيِّ إشارة له في النصِّ ..

.. فالنبيُّ ﷺ ومن معه ممّا يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، سيدخلون [[بشكلٍ عام ، وفي حال اعتماد التفسير الموروث]] في ساحة المعنيّين بالآية الكريمة .. ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور : ١٢] ، فبالتأكيد أنَّ النبيَّ ﷺ ومن معه مؤمنون ، ولا يمكن لمسلم أن يقول غير ذلك ..

.. إذاً .. في حال حصر دلالات هذه الآية الكريمة بالحادثة التاريخيّة التي تمَّ تلبيسها على النصِّ القرآني ، ووفق ما تأتي به الروايات ، فإنَّ هذا الحصر يتناقض مع وصف محمّد ﷺ والذين معه ، بأنّهم ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ..

.. وإصرار عابدي أصنام التاريخ على إسقاط دلالات هذا النصِّ الكريم على ما وصلنا من روايات متناقضة للحادثة التاريخيّة بالشكّ بأمِّ المؤمنين عائشة زوج النبيِّ ﷺ ، سيؤدّي في النهاية إلى اتّهامٍ لمعظم المؤمنين في ذلك الجيل بأنَّهم لم يظنّوا بأنفسهم (وبالتالي بها) خيراً ..

وتتابع الآية الثالثة في هذا النصِّ الكريم تصوير الأحكام الخاصّة بهذه المسألة ..

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النور : ١٣]

.. نرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – تنتقل الصياغة إلى صيغة الغائب ، واصفةً الأحكام المتعلِّقة بالذين جاءوا بهذا الإفك : ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ ..... ﴾ ، ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ ..... ﴾

.. فكما أنَّ وصف المؤمنين الذين كان من المفترض بهم الاَّ يكون موقفهم سلبيّاً كان بصيغة الغائب ، أيضاً فإن وصف الذين جاءوا بهذا الإفك هو أيضاً بصيغة الغائب ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ ﴾

﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ ..... ﴾

﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ ..... ﴾

.. بينما الخطاب الموجَّه لمجموع السامعين ، وهم جملة المجتمع المسلم الواسع الذي تفاعل مع هذا الإفك وانغمس فيه ، نراه بصيغة المخاطب ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ .. وفي كلِّ ذلك إشارة إلى أنَّ المجتمع بغالبيّته انغمس في مسألة الإفك كما بيّنا ..

٢ – هذه الآية الكريمة تبدأ بكلمة ﴿ لَّوْلَا ﴾ ، بمعنى هلاّ ، وكان من المفترض لو كانوا صادقين أن يجيئوا بأربعة شهداء لإثبات مصداقيّة ما يذهبون إليه ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ

﴿ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ .. وهذا أمر طبيعي فلو جاءوا بالشهداء لما كان إفكهم إفكاً ولكانوا صادقين .. وهكذا امتنع مجيئهم بالشهداء لكونهم كاذبين ..

٣ – كلمة ﴿ فَإِذْ ﴾ بهذه الصيغة ، وليس بصيغة الشك والاحتمال (فإنْ) تؤكِّد أنَّهم لن يجيئوا بالشهداء .. وبالتالي هم بالتأكيد عند الله تعالى من الكاذبين ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ ..

٤ – نرى ورود كلمة ﴿ فَإِذْ ﴾ وليس كلمة (فإذا) ، وهذا يعني حسم الأمر حتى نهايته .. فهم لم ولن يأتوا بالشهداء لأنَّ الأمر من أساسه كذبٌ وافتراء ..

٥ – نرى في العبارة القرآنيّة ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ وورود كلمة ﴿ عَلَيْهِ ﴾ .. فهؤلاء الذين جاءوا بالإفك كان من المفترض أن يجيئوا بأربعة شهداء لإثبات صدقهم فيما جاءوا به من الإفك .. فالشهداء الذين كان من المفترض أن يجيئوا بهم ، هذا المجيء بهم هو بعد مجيئهم بالإفك ، من هنا نرى دلالة ورود كلمة ﴿ عَلَيْهِ ﴾ ..

٦ – نرى أنَّ المفترض الذي يجب أن يقوموا به لكي لا يكونوا كاذبين هو المجيء بالشهداء ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ .. فكلمة ﴿ جَآءُو ﴾ بيّنة في وصف ذلك .. بينما ما لا يستطيعون عمله لإثبات صدقهم هو الإتيان بالشهداء ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ ﴾ ، وكلمة ﴿ يَأْتُواْ ﴾ بيّنة في وصف ذلك ..

وفي كتاب الله تعالى ، الإتيان يسبق المجيء .. فمن المفترض عليهم أن يجيئوا بأربعة شهداء على الإفك الذي يزعمونه .. فوقوع الإفك يسبق الشهادة عليه ، من هنا رأينا حكمة ورود كلمة ﴿ عَلَيْهِ ﴾ .. بينما ما لا يستطيعون عمله هو ليس فقط المجيء على

هذا الإفك بأربعة شهداء ، وإنّما أيضاً لا يستطيعون الإتيان بشهداء شاهدوا هذا الإفك أصلاً ، لأنّه إفك ، ولأنّه كذب وافتراء وتلبيس وإشاعة للفاحشة ، ليس إلاّ ..

.. فالإتيان بالشهداء مرحلة تسبق المجيء بهم على هذا الإفك .. وما لا يستطيعون فعله هو الإتيان لأنّه لا يوجد في الواقع ما يثبت كذب هؤلاء الذين جاءوا بهذا الإفك .. وبالتالي فهم عند الله تعالى من الكاذبين ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ ..

٧ – نرى أنَّ المجيء بالشهداء والذي كان من المفترض أنَّهم جاءوا به ﴿ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ هو بصيغة الماضي ﴿ جَاءُو ﴾ ، وفي هذا دليلٌ آخر على إطلاق المسألة بشكلٍ مجرَّدٍ عن حيثيّات الزمان والمكان ، ففي كلِّ زمانٍ ومكان كان من المفترض على الذين جاءوا بالإفك أنّهم قد جاءوا عليه بأربعة شهداء ، وهي مسألة مجرّدة عن حيثيّات أيِّ حدث تاريخي ..

.. بمعنى لا يجوز الكلام بذلك إلاَّ بعد وجود أربعة شهداء ، فوجود الشهداء الأربعة من المفروض المجيء بهم في أيِّ كلامٍ عن أيِّ فاحشة في أيِّ زمانٍ ومكان ..

.. بينما في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ولأيِّ حادثة تاريخيّة حاملها الإفك لن يستطيعوا الإتيان بالشهداء مهما فعلوا ومهما عملوا من عمل حسيٍّ ، لأنَّ إفكهم كذب وافتراء .. من هنا نرى حكمة ورود الإتيان بالشهداء بصيغة المضارع ﴿ يَأْتُوا ﴾ ، في العبارة القرآنيّة ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ .. فهم كاذبون لأنَّهم لن يستطيعوا الإتيان بالشهداء مهما عملوا ومهما حاولوا ..

٨ – في العبارة القرآنيّة ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ ، نرى الكلمتين ﴿ عِندَ اللَّهِ ﴾ ، فهم كاذبون عند الله تعالى العالم علماً مطلقاً حقيقة

الأمر ، بينما عند الناس هناك من يصدقهم وهناك من يسير معهم في إفكهم ، فحتى الذين يُفتَرَض بهم أن يظنّوا خيراً بأنفسهم من جماعة المؤمنين والمؤمنات ، حتى هؤلاء موقفهم لا يوازي ما يفترض بهم في حال إشاعة الإفك كما رأينا ..... من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة في ورود الكلمتين ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ ..

.. وتأتي الآية الرابعة في هذا النصِّ الكريم المصوِّر لمسألة الإفك حاملةً المزيد من أحكام هذه المسألة ..

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٤]

.. في هذه الآية الكريمة ، الخطاب موجّهٌ للذين سمعوا بهذا الإفك ، فهؤلاء هم ذاتهم الذين خاطبهم الله تعالى بقوله ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ ، وهم جملة المسلمين .. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – أنَّ فضل الله تعالى ورحمته على جملة المسلمين الذين سمعوا بهذا الإفك هو سبب عدم مسِّهم بعذاب عظيم نتيجة ما أفاضوا فيه .. فما أفاضوا فيه كمجتمع جزاؤه عذابٌ عظيم ، ولكنَّ فضل الله تعالى ورحمته حالت دون ذلك ..

.. فكلمة ﴿ وَلَوْلَا ﴾ ، في بداية هذه الآية الكريمة يتجلّى فيها معنى امتناع الأمر لوجود غيره ، بمعنى امتناع مسِّهم بالعذاب العظيم لوجود فضل الله تعالى عليهم ورحمته في الدنيا والآخرة ..

٢ – فضل الله تعالى ورحمته بهذا المجتمع والتي حمته ممّا يستحقّه من عذاب عظيم ، هذا الفضل وهذه الرحمة هما في الدنيا والآخرة ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى

﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فوجود العبارة القرآنيّة ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ليس عبثاً وليس حشواً .. فرفع العذاب العظيم عنهم هو في الدنيا والآخرة ..

.. الآية الكريمة تقول : إنَّ ما أفضتم فيه في مسألة الإفك جزاؤه عذابٌ عظيم ، ولكنَّ فضل الله تعالى عليكم ورحمته حال دون ذلك .. وهذا هو خطاب لجملة السامعين كَكُل ، أي للمجتمع المسلم السامع لهذا الإفك والمنغمس فيه ..

.. وهذا لا يعني أنَّ من جاء بهذا الإفك مشمولٌ بذلك .. أبداً .. فالآية الكريمة تبدأ كما نرى بصيغة المخاطب : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ ، كما هو حال الخطاب ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾ ، ليشمل المجتمع المسلم السامع بهذا الإفك والمنغمس فيه ... بينما الذين جاءوا بالإفك لهم عقوبتهم والتي رأيناها في آية سابقة ..

﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١١]

.. وفي كلٍّ ذلك أدلّة على أنَّ النصَّ يُخاطب المجتمع المسلم كَكُلٍّ ، بشكلٍ مجرَّدٍ عن حيثيّات الزمان والمكان ، وعن أيِّ خصوصيّة لأيِّ حادثة أو جيل ..

٣ – نرى ورود كلمة ﴿ أَفَضۡتُمۡ ﴾ ، والتي ترسم حركة اندفاع المجتمع المسلم السامع بهذا الإفك وانسياب النفوس والألسنة في إشاعته .. ففيض الشيء هو انسيابه واندفاعه ..

﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ

لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٨ – ١٩٩]

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣]

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٠]

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢]

.. والفيض في الشيء هو الاندفاع فيه والتفاعل معه والانشغال به ..

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١]

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف : ٨]

٤ – .. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، مع كون الآية موجَّهة لجملة المسلمين السامعين بهذا الإفك كما بيّنا ، تؤكّد انغماس الكثيرين في مسألة الإفك بإطارها العام ، في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. وهذا دليلٌ آخر على استبعاد الحادثة التاريخيّة بالحيثيّة التي ترد بها في الروايات ..

.. بعد ذلك تأتي الآية الخامسة في هذا النصِّ الكريم لتخاطب – أيضاً – جملة المسلمين المخاطبين في الآية السابقة والمخاطبين – كما بيّنا – بقوله تعالى ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ ..

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٥]

.. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – تبدأ الآية الكريمة بكلمة ﴿ إِذْ ﴾ ، وفي هذا بيانٌ يفصِّل ويبيّن السبب في ما حملته نهاية الآية السابقة مباشرة : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ، فالعذاب العظيم الذي كان من الممكن أنَّ يمسَّ المجتمع المسلم ككُلٍّ بسبب ما أفاض فيه أبناؤه في مسألة الإفك ، هذا العذاب سببه تفاعلهم مع هذا الإفك ، والذي تبيّنه الآية الكريمة الخامسة ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .. فهذه الآية الكريمة تبيّن حيثيّات انغماس المجتمع المسلم السامع بهذا الإفك ..

٢ – كلمة ﴿ تَلَقَّوْنَهُۥ ﴾ ، لها دلالاتها الكبيرة في تبيان هذه المسألة .. ففي كتاب الله تعالى ، لقي شيء بمعنى واجهه وقابله ..

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة : ١٤]

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة : ٧٦]

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ [آل عمران : ١١٩]

﴿ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال : ١٥]

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ [الكهف : ٧٤]

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد : ٤]

.. وتلقّى الأمر بمعنى : استقبله وواجهه وقابله ، بانتظار وتفاعل مع هذا الأمر ، وتاء الجهد والتفاعل في التلقّي تفيد في إظهار هذا المعنى ..

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧]

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣]

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ [ق : ١٧]

.. إذاً .. كلمة ﴿ تَلَقَّوْنَهُۥ ﴾ تبيّن استقبالهم لهذا الإفك وتفاعلهم الكبير معه ..

٣ – العبارة القرآنيّة ﴿ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ تُبيّن لنا أنّهم يستقبلون هذا الإفك ويتفاعلون معه بواسطة ألسنتهم ، وبالتالي لا يُفعِّلون عقولهم ولا تهبُّ ضمائرهم ولا يُستَنْفَرُ روح الإيمان عندهم في الحدِّ من تلقّي هذا الإفك .. فتنقّل هذا الإفك بينهم هو عبر الألسنة دون أيِّ ملامسة للعقل والضمير ، وفي هذا بيانٌ إضافي في الانغماس فيه ..

٤ – العبارة القرآنيّة ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ معطوفة على العبارة ﴿ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ ، فما يتلقّوه بألسنتهم من هذا الإفك يتناقلونه بأفواههم دون أن يكون لهم علمٌ بحقيقته .. وفي هذا بيانٌ آخر في انغماس المجتمع السامع فيه ، فيتناقلونه ويرونه ويشيعونه دون أيِّ علمٍ بحقيقته ..

وهنا أودَّ أن أسأل عابدي أصنام التاريخ : إذا كنتم تُسقطون دلالات هذا النصِّ على الحادثة التاريخيّة برمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ ، وهي حادثة – كما تقولون – وقعت في الجيل الأوَّل ، وها هي دلالات كتاب الله تعالى تبيّن كيف انغمس المجتمع المسلم السامع بالإفك بإشاعته ، وكيف يتمُّ تناقله دون علم بحقيقته ودون تفعيل للعقول والضمائر .. فبناء على ما تذهبون إليه .. كيف إذاً يمكننا أن نفهم قولكم بأنَّ الروايات التي جُمعت بعد موت النبيِّ ﷺ بقرون إنّما جُمعت بدقّة وبأمانة دون زيادة أو نقصان وأنَّها وصلت إلينا بالحرفيّة ذاتها التي كانت عليها وبعلم كامل من ناقليها ؟!!! .. كيف يستقيم قولكم بذلك مع ما تذهبون إليه من روايات مسألة الإفك ومع الدلالات الواضحة الصريحة لكتاب الله تعالى في هذه المسألة ؟!!! ..... لا نجد ما نقوله للباحثين عن الحقيقة أفضل من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] ..

٥ – العبارة القرآنيّة ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا ﴾ تبيّن لنا أنَّ كلَّ هذه الأعمال ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ تتعلَّق باعتقادهم أنَّ القيام بها هو أمرٌ هيّنٌ وأنَّ عقوبته عند الله تعالى قليلة ولا تُؤثِّر عليهم ..

٦ – العبارة القرآنيّة ﴿ وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ تبيّن لنا حقيقة تلقّي هذا الإفك وإشاعتِه والتفاعل مع هذا الكذب والافتراء ، وذلك عند الله تعالى .. فعند الله تعالى هو أمرٌ عظيم ..

.. ولنقف عند الآية السادسة في هذا النصِّ ..

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦]

.. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – تبدأ بكلمة ﴿ وَلَوْلَآ ﴾ التي تفيد التحضيض ، بمعنى هلاّ ، أو كان من المفترض عليكم ، فالمجتمع السامع بهذا الإفك امتنع عن القول ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ .. وفي هذا دليلٌ آخر على تصوير هذا النصِّ للمجتمع الإسلامي السامع بهذا الإفك بشكلٍ عام دون أيِّ خصوصيّة في جيلٍ محدَّدٍ أو حادثة محدَّدة أو شخص محدَّد ..

٢ – هذه الآية الكريمة تُحاكي آية سابقة في هذا النصّ تبدأ بالعبارة ذاتها ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ ..

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور : ١٢]

.. فالآيتان تُخاطبان المجتمع الإسلامي السامع لهذا الإفك ككُل ، بشكلٍ مباشر ، ليشمل الخطاب الأوَّل ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ كُلَّ من سمع بهذا الإفك ، ولكنَّ اللوم في هذه الآية يقع على المؤمنين والمؤمنات ، وليس على كلِّ من سمع .. فالمفترض بالمؤمنين والمؤمنات أن يظنّوا بأنفسهم خيراً وأن يقولوا هذا إفك مبين ، هذا المفترض بالمؤمنين والمؤمنات من هذا المجتمع السامع بهذا الإفك والمنغمس فيه .. فالانتقال في هذه الآية الكريمة من صيغة المخاطب المتعلّقة بكلِّ السامعين ، إلى صيغة الغائب المتعلّقة بالمؤمنين والمؤمنات ليس عبثاً ..

بينما في الآية قيد البحث ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ نرى صيغة المخاطب مستمرّة حتى نهايتها لتشمل كلَّ من سمع بهذا الإفك ، والذي من المفترض عليه أن يقول ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ ..

.. وفي هذا دليلٌ آخر على انغماس المجتمع السامع ككُل في هذا الإفك وتكلّمهم بذلك ..

٣ – العبارة : ﴿ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦] ، كما قلنا تُخاطب كُلَّ من سمع بهذا الإفك ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم ﴾ ، وهي تصوِّر ساحةً أكبر من الساحة التي تصوِّرها الآية الكريمة ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور : ١٢] ..

.. فالآية (١٢) في هذه السورة والتي تُخاطب كلَّ من سمع بهذا الإفك ، ينتقل الخطاب فيها إلى المؤمنين (وهم جزء ممّن سمع بهذا الإفك) ولكن بصيغة الغائب ، لِتُصوِّرَ المُفتَرض في المؤمنين وهو أن يظنُّوا بأنفسهم خيراً وأن يقولوا هذا إفكٌ مبين .. وهذا الانتقال إلى صيغة الغائب رأينا صياغةً مماثلةً له (صيغة الغائب) حينما صوَّر النصُّ القرآنيُّ لنا الذين جاءوا بهذا الإفك ، وهم ذاتهم الذين كان من المفترض بهم أن يجيئوا بالشهداء عليه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾

﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾

﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ ..... ﴾

﴿ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ ..... ﴾

.. وكلُّ ذلك يبيّن لنا أنَّه هناك فئتان قليلتان في هذا المجتمع ... فئة الذين جاءوا بهذا الإفك والذين خوطبوا بصيغة الغائب ، وفئة المؤمنين والذين خوطبوا أيضاً بصيغة الغائب ، وحتى هؤلاء (نعني المؤمنين والمؤمنات في المجتمع السامع بالإفك) لم يكن لهم موقفٌ موازٍ لما يُفترض أن يقوموا به ﴿ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ ..

.. وتبقى الأكثريّة السامعة والمنغمسة بهذا الإفك ، هي السائدة التي تلّقت هذا الإفك بألسنتها وتكلّمت به وغرقت في مستنقعه دون علم ﴿ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴾ ..

وفي كلِّ ذلك دليلٌ آخر على أنَّ المجتمع السامع بهذا الإفك خاض به .. وكلُّ ذلك بشكلٍ مجرَّدٍ عن أيِّ حدث أو جيل أو شخص .. وهذه الدلالات الجليّة لهذه الآيات الكريمة تبيّن استبعاد الروايات التاريخيّة الخاصّة بهذا الأمر ، وذلك بالحيثيّة التي وصلت إلينا بها ..

٤ – كلمة ﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ التي كان من المُفترض بهم أن يقولوها ، تبيّن تنزيه الله سبحانه وتعالى ، وفي هذا بيانٌ أنَّ هذا الإفك يشمل فيما يشمل مسائل تتعلّق بالعقيدة وبتنزيه الله تعالى .. وفي هذا بيانٌ – كما بيّنا – أنَّ مسألة الإفك المعنيّة في هذا النصِّ الكريمة عامّة وواسعة وليست خاصّةً بجيلٍ محدَّدٍ أو شخصٍ محدَّد أو حادثةٍ محدَّدة أو موضوعٍ محدَّد ..

٥ – قوله تعالى ﴿ هَـٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ والذي من المفترض أن يقوله كلُّ من سمع بهذا الإفك من المسلمين ، هذا القول دليلٌ آخر على أنَّ ما قالوه وما سمعوه هو كذب ولا برهان عليه .. فكلمة برهان ومشتقاتها ترد في كتاب الله تعالى (٨) مرّات ، وكلمة بهتان ومشتقّاتها ترد في كتاب الله تعالى (٨) مرّات أيضاً .. فكونهم لا يملكون برهان على ما سمعوه وقالوه يقتضي أنَّهم منغمسون في بهتانٍ عظيم ..

.. وتأتي الآية السابعة في هذا النصِّ بصيغة المخاطب لتخاطب جملة المجتمع المسلم ، الذين سمعوا بهذا الإفك وتناقلوه بألسنتهم وانغمسوا في مستنقعه ..

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ١٧]

.. ونرى في هذه الآية الكريمة ..

١ – تبدأ هذه الآية الكريمة بالعبارة ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، ليتواصل الخطاب الإلهي لجملة المجتمع الإسلامي الذي سمع بهذا الإفك وتناقله وانغمس فيه .. فالخطاب هو للمجتمع الإسلامي في كلِّ زمانٍ ومكان ..

٢ – الوعظ (كما يبيّنه كتاب الله تعالى) هو تبيان الحقيقة التي يجب اتّباعها ، وطلب اتّباعها ..

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٣١]

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨]

فالوعظ يتعلّق بتبيان الأمر الذي يجب اتّباعه ، ولذلك من الطبيعي أن يشمل النهي عن اتّباع نقيضه ..

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣]

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦]

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ ، يعني ينهاكم الله تعالى عن اتّباع هذا الإفك وأيِّ سبيلٍ مثله ..

٣ – العبارة القرآنيّة ﴿ تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ لا تنفي خروج هذا المجتمع السامع بالإفك من حالة انغماسه فيه .. فلو جاء النصُّ (تعودوا إليه) لكان الأمر متعلِّقاً بأمرٍ وحدثٍ له نهايته ، بينما ورود العبارة القرآنيّة ﴿ تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ بهذه الصيغة يعني العودة لأمرٍ آخر مثل هذا الإفك .. فهذا الأمر الإلهي ينهى المجتمع المسلم عن الانغماس بكلِّ ما يماثل مسألة الإفك ..

وفي ذلك دليلٌ على أنَّ هذه الآيات الكريمة ليست خاصّةً بحادثة محدّدة أو جيلٍ محدَّد أو شخصٍ محدَّد ، كما يذهب موروثنا التفسيري .. فلو كان الأمر كما يقولون وأنَّ التفاعل مع الحادثة التاريخيّة قد انتهى بنزول هذه الآيات الكريمة ، لكانت العبارة القرآنيّة (تعودوا إليه) ، وليس ﴿ تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ ..

وإن قال قائل : الحادثة بعينها وأشخاصها انتهت ، والمقصود بقوله تعالى ﴿ تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ هو تعودوا لاتّهام شخصٍ آخر .. نقول : بيّنا بما فيه الكفاية أنَّ النصَّ لا تُوجَد فيه ولو إشارة لتخصيص حادثة محدّدة بعينها ، والضمير المتّصل الهاء في كلمة ﴿ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ يعود إلى الإفك المعرَّف بأل التعريف ﴿ بِٱلْإِفْكِ ﴾ ، وكنّا قد بيّنا كيف أنَّ دلالات

النصّ لا تُخصَّص بأيِّ جيل أو شخص أوحادثة محدَّدة .. فالتخصيص الذي يرد إلى أذهانهم مردّه ليس دلالات النصّ وإنّما الروايات التاريخيّة التي جُعلت حجّة على النصّ ..

٤ – كلمة ﴿ أَبَدًا ﴾ ، في العبارة القرآنيّة ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ تعني تفصيلاً وتبياناً وتأكيداً وإطلاقاً .. فنهي الله تعالى عن العودة للإفك ولأيِّ سبيلٍ مثله ، هو نهيٌ مُطلق ..

.. كلمةُ ﴿ أَبَدًا ﴾ في القرآن الكريم ، عندما تتعلّقُ بمسألة ، فهي تعني تأكيداً لحيثيّات هذه المسألة وتفصيلاً وتبياناً لها ، وذلك في سياق تفصيل هذه المسألة وتبيانها ، ولا تعني سرمديّة الزمان إلى ما لا نهاية .. فقد تعلّقت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمسائلَ تستحيلُ عليها سرمدية الزمان إلى ما لا نهاية .. مثلاً في قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾

[التوبة : ١٠٧ – ١٠٨]

لا يُعقَل أنَّ النبيَّ ﷺ وأنَّ المسجد الضرار سيبقيان إلى ما لا نهاية ، فكلمة ﴿ أَبَدًا ۚ ﴾ في هذا النصِّ الكريم تعني تأكيداً على الأمر الإلهي بعدم الإقامة في هذا المسجد الضرار ، وتبياناً بأنَّ هذا الأمر مطلق ..

.. والآية الكريمة التالية تؤكِّدُ هذه الحقيقة ..

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣]

فكلمة ﴿ أَبَدًا ﴾ في هذا النصِّ الكريم تعني تفصيلاً وتبياناً وتأكيداً على الأمر الإلهي بعدم بعدم نكح أزواج النبيّ ﷺ من بعده .. ولا يمكن لها أن تعني سرمديّة الزمن إلى ما لا نهاية ، فإمكانيّة نكح أزواجه ﷺ تنتهي بموتهن ..

.. إذاً .. كلمة ﴿ أَبَدًا ﴾ في قوله تعالى ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ تصوِّرُ لنا بياناً وتفصيلاً وتأكيداً للنهي الإلهي بعدم العودة لهذا الإفك وأيِّ سبيلٍ مثله ..

٥ – كلمة ﴿ إِن ﴾ في قوله تعالى ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، والذي يُخاطب جملة السامعين بهذا الإفك ، بمعنى يُخاطب المجتمع المسلم ، دليلٌ آخر على كون النصِّ الذي نحن بصدد دراسته ليس خاصّاً بما وردنا في روايات التاريخ من رمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ ..

فنحن نعلم أنَّ هذه الكلمة تُفيد الشك ، بمعنى أنَّ الإيمان في المجتمع المُخاطب قد يكون موجوداً وقد لا يكون ، وهذا يختلف عن ورود كلمة (إذا) ..

فالمجتمع المسلم في أيِّ زمانٍ ومكان تُحتمل فيه صفة الإيمان ولا تُوجد حتميّة لوصفه – كمجتمع – بهذه الصفة ، وهذا ما تبيّنه كلمة ﴿ إِن ﴾ دون كلمة (إذا) .. وحصر دلالات هذا النصِّ بالحادثة التي وصلتنا خلال التاريخ من رمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ ، لا يتناسب مع ما يخطبه على المنابر من يُصرّون على حصر دلالات هذا النصّ القرآني بما وصلنا من روايات متناقضة لهذه الحادثة التاريخيّة ..

وقوله تعالى ..

﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور : ١٨]

.. يبيّن لنا الله تعالى فيه أنَّ الله تعالى يبيّن لنا الأحكام في كتابه الكريم ، وفي هذه المسألة فإنَّ الآيات السابقة حملت لنا الأحكام التي يريدها الله تعالى بالنسبة لمسألة الإفك ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۚ ﴾ ..

وقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، يبيّن لنا الله تعالى فيه أنَّ علم الله تعالى وحكمته يحيطان بكلِّ هذه الأحكام التي بيّنها الله تعالى لنا ..

والنصُّ التالي يبدأ بالعبارة القرآنيّة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ لترسم أحكام مسألة عامّة أيضاً ، كما هي مسألة الإفك والتي تبدأ بالعبارة ذاتها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ١٩ - ٢٠]

.. وإطلاق هذا النصِّ الكريم واضح ، فلا يمكن تخصيصه بحادثة أو بجيل أو بشخص ..

.. بعد ذلك نرى نصّاً كريما يبدأ بالعبارة ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ليصوّر لنا مسألةً أُخرى لا يمكن – أيضاً – حصرها بشخصٍ محدَّد ولا بحادثة محدَّدة ولا بجيلٍ محدَّد ..

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢١]

.. وبعد الانتهاء من شرح النصِّ الكريم المصوِّر لأحكام مسألة الإفك ، نرى بأمِّ أعيننا كيف أنَّ هذا النصَّ ليس مخصّصاً بحادثة محدّدة هي ما وصلنا من روايات تحمل قصصاً تاريخيّة برمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ واتّهامها بما لا يليق بكونها زوج النبيِّ ﷺ وبكونها أمّاً للمؤمنين .. فأزواج النبيّ ﷺ فوق كلِّ الاتّهامات ، واتّهامهن بما ليس فيهن لا يخدمُ إلاَّ المشكّكين والكافرين بالرسالة التي أنزلها الله تعالى على النبيِّ ﷺ ..

والجزم بحصر دلات هذا النصِّ المصوِّر لمسألة الإفك ، وفق الروايات التي بين أيدينا ، يتنافى – كما رأينا – مع ما يحمل من دلالات تبيّن انغماس المجتمع فيه ، ويتنافى مع ما يصوِّره كتاب الله تعالى عن خُلق النبيِّ ﷺ والمؤمنين الذين معه ..

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ [الفتح : ٢٩]

فما نقرؤه في الروايات التي بين أيدينا لهذه الحادثة وموقف النبيِّ ﷺ من هذا الإفك ، والذي تصوّره بعض الروايات بأنَّه أقرب لتصديق هذا الإفك ، و لم يقف موقفاً يتناسب مع ما يصفه الله تعالى به في كتابه الكريم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، يجعلنا نشكُّ بهذه الروايات ونتّهم واضعيها بزرع ما يُبنى عليه لاحقاً للتشكيك بالمنهج ولزرع الفتنة بين أبناء الأمّة ..

.. فحادثة الإفك كحادثة تاريخيّة تمَّ بها رمي عائشة زوج النبيِّ ﷺ ، هي في أساسها تستحيل صحّتها وفق ما تنقله روايات التاريخ إلينا ..

وحتّى لو فرضنا جدلاً أنَّ هذا النصَّ خاصٌّ بالحادثة التاريخيّة التي وصلتنا ، كما يصرُّ عابدو أصنام التاريخ الذين لا يستطيعون النظر إلى كتاب الله تعالى إلاَّ من خلال رواياتهم وأقوال فلان وعلاّن الذين حوّلوهم إلى أصنام ، لو فرضنا ذلك ، فإنَّ ما يحمل هذا النصّ من دلالات ووصف لانغماس المجتمع بهذا الإفك ، يختلف كثيراً مع ما يخطبه هؤلاء ذاتهم على المنابر من رفع لأفراد الجيل الأوَّل إلى العدالة التي تجعلهم فوق الجرح ..

.. وفي هذا المقال وخوفاً من الإطالة ، لم أقف عند الروايات التي بين أيدينا لهذه المسألة .. ولو عاد القارئ إليها وقرأها بتجرّد ، لرأى بعينيه حجم التناقض الذي تحمله ،

وحجم الإساءة للنبيِّ ﷺ ولأزواجه ، ولرأى حجم التناقض في المنظومة الثقافيّة التي تحكم السمت الفكري الذي يفرضه الموروث علينا ..

وهنا نخاطب المتاجرين بالعصبيّات المذهبيّة والطائفيّة من السنّة والشيعة على حدٍّ سواء ، الذين لا همَّ لهم إلاَّ الفتن والدعوة لعبادة أصنامهم على حساب منهج الله تعالى ، فنقول لهم : هلاّ عدتم إلى الحقّ بجعل كتاب الله تعالى فوق عصبيّاتكم التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ؟ .. أليس كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) قاسماً مشتركاً لجميع المسلمين ؟ .. أليس قوله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] واضحاً جليّاً بأنَّ كتاب الله تعالى يحمل تبياناً لكلِّ شيء ؟ .. فلماذا إذاً تُعرضون عن الدلالات الحقّ لكتاب الله تعالى ، وتصرّون على النظر إليها من مناظير عصبيّاتكم الضيّقة .. ؟

وهنا نسأل الصادقين الذين يعنيهم منهج الله تعالى أكثر ممّا تعنيهم عصبيّاتهم المذهبيّة والطائفيّة : هل يُخدَم المنهج بوضع النبيِّ ﷺ وأزواجه والذين معه تحت شبهة الانغماس بهذا الإفك ؟ !!! .. أليس القول بإنكار هذه الحادثة من أصلها (وهذا ما يتوافق مع دلات كتاب الله تعالى) هو خدمة لمنهج الله تعالى ، وهو حقٌّ ينسجم مع دلالات كتاب الله تعالى ؟ ..

.. ونقول لغلاة الشيعة : ألا تخجلون من الله تعالى ومن أنفسكم بالإساءة لأمّهاتكم ؟ .. وإن كنتم مؤمنين فأزواج النبيّ أمهاتكم ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] ، ومن يرمي أمَّه بأيِّ سوء فلا جدوى من حضّه إلى أيِّ قيمة أخلاقيّة ..

هل تحويل أهل البيت إلى أصنام تاريخيّة والتعصّب الأعمى لما جاء في روايات وُضعت أصلاً من أجل تمزيق جسد الأمّة ، هل هذا يخدم منهج الله تعالى (القرآن الكريم) الذي تقولون بأنّكم حاملون له ؟ .. أم أنَّ العصبيّات عندكم أكبر من منهج الله تعالى ؟ ..

ونقول لغلاة السنّة : لقد وقعتم في فخّ مستنقع الروايات كما وقع من قبلكم غلاة الشيعة .. فجوهر المشكلة يكمن في هذه الروايات التي لا تحمل للنبيِّ ﷺ وأزواجه إلاَّ الإساءة ، وأيُّ تفلسف لذرّ الرماد في الأعين من أجل التحايل على نصوصها هو مزيدٌ من الغرق في مستنقعها .. كان عليكم أن تنكروا كلَّ رواية تتناقض مع كتاب الله تعالى ومع خُلق النبيِّ ﷺ ومع كون أزواجه يصفهن الله تعالى في كتابه الكريم بأنَّهن أزواج النبي ﷺ ، بما يعني ذلك من نقاء وخلاص وتناظر في العقيدة ..

وأقول للباحثين عن الحقيقة المخلصين الذين يخلصون العبادة لله تعالى ، ولا يؤمنون لا بأصنام غلاة الشيعة ولا بأصنام غلاة السنّة ، أقول : تمسّكوا بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) واعلموا أنَّ حرفاً فيه أهم من التاريخ برجالاته ورواياته ، واعلموا أنَّ الصراعات النتنة الآن بين تجّار المذاهب والطوائف هي من أجل أصنامهم وليس من أجل منهج الله تعالى ..

.. الأصنام هنا تختلف عنها هناك ، وروايات التاريخ تحمل الكثير من الصراعات بين هذه الأصنام ، وكلٌّ يدافع عن أصنامه في مواجهة أصنام الطرف الآخر ، وبالنتيجة الابتعاد – مع الزمن – عن حقيقة العبادة الحقّ لله تعالى ، والتمسّك بالأصنام ، وقتل الآخرين وتكفيرهم في سبيلها ..

.. انظروا كيف أنَّ الفتن المذهبيّة والطائفيّة تزداد يوماً بعد يوم ، وكيف يغرق الكثيرون فيها يوماً بعد يوم .. انظروا كيف يتمزّق الممزَّق يوماً بعد يوم ، متمثّلين مَن يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ [سبأ : ١٩] .. انظروا كيف تسيل الدماء من

أجل أصنام التاريخ .. انظروا كيف أنَّه لا قيمة لدم الإنسان عند عابدي أصنام التاريخ ، وكيف أنَّ دم الإنسان يُهدَر قُربةً لأصنامهم التي يعتقدونها جزءاً من منهج الله تعالى ..

.. متى ندرك إدراكاً حقيقيّاً معنى الآية الوحيدة في كتاب الله تعالى والتي يبيّن الله تعالى لنا فيها ماذا سيقول ﷺ في الآخرة ..

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]

متى ندرك أنَّ كلَّ الرسالات السماويّة جاءت من أجل الإنسان .. متى ندرك أنَّ تكفير الآخرين وقتلهم بسبب الاختلاف الديني والمذهبي والطائفي هو خروجٌ فاضح على أهم الأحكام والمبادئ التي تحملها كلُّ الأديان السماويّة ..

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٢]

المهندس عدنان الرفاعي